

الإسلام في بلاد المغرب

دكتور عبد الكريم صحرانوس

أيها السادة الكرام :

فسمحوا لي أولاً أن أقدم عظيم شكري إلى رئاسة المجمع العلمي العراقي وأعضائه الذين شرفوني بانتخابهم إياي عضواً مراسلاً لهذا المجمع الموقر . وقد اخترت أن أحاضركم باللغة العربية الكريمة التي عشقتها من جرّاء حيي الاسلام وأقبلت على تعلمها من تلقاء نفسي ومن غير معلم ، تعلمتها من الكتب حسب وأرجو أن تعذروني إن صدر عني لحن أو خطأ في التعبير — وإذا حضرت الآن عن الاسلام في المجر أو في الروابط التي بين بلادي والعراق ، فالمجريون هم في الأصل شعب شرقي صميم حمل حضارة آسيا إلى قلب أوروبا ، وقد كانوا دائماً مشار عطف وعناية الشعوب الشرقية وخاصة العالم الاسلامي .

سادتي الكرام : منذ بضعة أشهر مضت احتفل العالم بالذكرى السنوية للفيلسوف العربي العظيم الكندي الذي سلك طريق أرسطو وتبعه بالدراسة من أجل كشف أسرار العقل الانساني وأسرار عمله الخفية ، وكذلك من أجل السعي في إيجاد ترابط بينهما وبين بحث النفس المؤدي إلى الخلاص . وإن عباقرة العرب أناروا السبل المؤدية إلى العلوم تلكم السبيل التي ما زالت إلى الآن المشعل الذي يتوهج مضيئاً سبل الفكر . ولم يكن الاشعاع الديني

للإسلام الساطع من مكة المكرمة إلى حدود العالم عبر الصحاري والبقاع الخصبية ، ومن دمشق وبشداد مدينة السلام خاصة غزواً بالسلاح والقوة بل كان قد امتد بوسيلة الانتشار الثقافي والحضاري التي جلبت ولا شك السعادة والرضا لهؤلاء الناس الذين آمنوا بالإسلام - وقد تغلغل الرحالون العرب في أثناء تطوافهم في أقصى الشمال ، دارسين عادات سكان تلك المناطق ، وتقاليدهم رابطتين هذه المناطق بالمراكز الإسلامية عن طريق سلسلة من الأسواق ، وكانت من أهم نتائج هذه الأعمال أن اعتنق الكثير من سكان تلك المناطق الإسلام ، وبذلك دخلوا في نطاق الشعوب المتمدنة وقد نقل اليها كثير من الرحالين أمثال ابن فضال وابن حوقل والاصطخري في أثناء رحلاتهم إلى أعالي نهر الفولغا أن في مدينة بلغار يعيش أقوام على صيد الحيوانات وأنه لاحتكاكهم بالمسلمين أرسل أميرهم ألموش وفداً إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله (من أهل القرن العاشر الميلادي) طالباً إليه إرسال فقهاء يُطلعون شعبه على تعاليم الإسلام ومنبئاً بعزمه هو وشعبه على اعتناق الإسلام . وقد شيدت المساجد الصغيرة في أنحاء بلاده ، وتداول الناس النقود الإسلامية . وكان قصر الأمير مزيناً بأنواع من الأثاث الرومية الأصل التي أحضرها التجار العرب .

وفي حدود عام ٩٢١ م أصبحت مدينة بلغار الواقعة على الفولغا والمناطق التابعة لها أقصى الحدود الشمالية للحضارة الإسلامية . وفي القرن العاشر استقرت قبائل بلغار الفولغا في البلقان أقرهم فيها الأباطرة البيزنطيون ، وفقدوا بسبب توطنهم في بيأة الاسلاف Slav لغتهم الأصلية التركية . واشتهروا بمهارتهم في الدباغة ، وخصوصاً دباغة نوع شهير من جلد البقر يدعى بجزيا bagaria ، ويرجع أصله إلى روسيا ، وهو كلمة مشتقة من بلغارياً - وكان هؤلاء البلغار مشهورين بسك النقود وقد ضرب أمراؤهم ومنهم غالب ومؤمن ثلاثة أنواع من العملة لتستعمل في التجارة خلال العامين ٩٥٠ و ٩٧٦ - وعند ما ضرب السلاطين الممانون وهم من الأتراك لأنفسهم العملات ، أصبحت هذه العملة هي المتداولة في المناطق

الشمالية لآسيا - وقد قلدها البلغار وذلك لقيمتها إلا أن نصوصها العربية كانت ذات أخطاء وأصبحت غير ممكنة القراءة .

سادتي :

اسمحوا لي بأن أعرج بالحديث إلى البلغار الذين هاجروا نحو الجنوب وانشأوا مستقراً لهم في أوروبا والبالقان Balkan وإلى شعب آخر كان مرتبطاً معهم بعلاقات قوية وهم المجر: Magyar ظهر المجريون بين جبال أورال قومياً بأسلين يعتمدون في معيشتهم على صيد الحيوان والسمك ويتكلمون بلغة هي مزيج من الفنلندية والأستونية Estonia ، وقد هجروا وطنهم الأصلي منذ ألفي عام تقريباً ، مولين وجوههم شطر الجنوب الشرقي فبعد أن اجتازوا قلب آسيا الغربية امتزجوا بالأتراك الجواشر Chuoastr والباشكير bashkir بالقرب من جنوب نهر الفولغا ، وضاف بحر قزوين امتزاجاً دام خمسمائة عام ، فتلقى المجريون عنهم في الزراعة والحرب ، وعلق باللغة المجرية كثير من الألفاظ التركية القديمة خصوصاً ما يتعلق بالزراعة وجرت بين الشعبين صلات رحم وقربى ، فتحول الشعب المجري من صيادي أسماك إلى رجال عسكريين يحاكون الأتراك في الكثير من مظاهرهم .

عاش المجريون قبائل راحلة كالبدو ، كل قبيلة لها زعيم تدعى لأمره وكانت هذه القبائل تتحد وتتألب عند نشوب الحروب ، لترد الأعداء عن البلاد ثم تعود إلى سابق معيشتها ومن الغريب أنه كثيراً ما انضمت قبائل أجنبية تركية وخرزية Khazar وقبرية Kabar إلى المجرين الأصليين وكذلك قوم من البلغار أيضاً .

وكانت نتيجة هذا الامتزاج بين المجرين والاجانب أن تولد جيل جديد وشعب جديد تأثر إلى حد بعيد بالثقافة الفارسية وفي لغتنا المجرية كثير من الألفاظ الفارسية المتعلقة بالصناعة أو بالأفكار الدينية .

فقد كانت تلك الألفاظ نتيجة تبادل تجاري بيننا وبين بلاد العجم ، وهذا التبادل

كان منحصرأ في الأسلحة والأقشة والحلي حتى أنه من المُشاهد في أيامنا هذه أن الزينة والنقش وتطريز الملابس في القرى المجرية هي فارسية الأصول .

في نهاية القرن الثامن للميلاد شددت هذه القبائل المجرية الممتزجة رحاها واتجهت شطر الغرب وهناك أقامت نحو قرن في جنوب روسيا المعروف اليوم باسم اوكرانيا Ukrania وفي هذه المنطقة هاجتهم قبائل البجناق Pejnak وهزمتهم فانشطروا الى نصفين :

أحدهما وهو الأكبر اتجه صوب الغرب فاستقر في جبال قريات Karpat ، أما الشطر الآخر وهو الأصغر فعاد إلى الشرق وقد اقتفت أثره بعض البعثات في خلال أجيال عدة بقصد الوقوف على آثاره ، ولكن هذه البعثات لم تعثر حتى اليوم على شيء .

أما الشعب المجري فقد وصل في عام ٨٩٦ م من جبال قريات Karpat الى بانونيا Pannonia وهي المعروفة اليوم ببلاد المجر ، وهذا الشعب هو في الواقع نتيجة تمازج بين المجرين الأصليين والسلافيين Slav الذين كانوا يقطنون Pannonia قبلهم وفي لغتنا عدد غير قليل من الكلمات السلافية Slav والشعب المجري القديم أعني القبائل شنت الغارة على الأراضي المجاورة لها بقصد نهبها والاستيلاء عليها ، حتى بلغ في غاراته المانيا Almania وإيطاليا Italia والاندلس Andalus ، ولكي تدفع ألمانيا غارة الشعب المجري عن بلادها بدأت تمهد السبل للدخول في النصرانية ، وتحت تأثير القائد المجري اشتوان Istvan المقدس الذي نصب نفسه ملكاً على البلاد وفيما بعد ذلك بدأ المجريون يدخلون في النصرانية أفواجا ، وكان بين هذه القبائل المجرية التي تزحمت من موطنها الأصلي واقامت على ضفاف الدانوب Danube ألوف من المسلمين وهم خليط شعوب متباينة كتجار ومزارعين أعجم وبلغار ، وقد ظلوا محافظين على شعائرهم الدينية واستوطنوا مناطق بالقرب من العاصمة بشت Pest وانتشروا في السهول الزراعية وأظهروا براعة في الشؤون التجارية والصناعية ، ولاتصالهم بالشرق الاسلامي اكتسبوا في فترة قصيرة مميزات اجتماعية واقتصادية ، وفي

وما كانت أوروبا في ذلك الوقت تسمح بإقامة الشعائر الدينية الإسلامية في ممالكها ،
لذا حاولت أن تحمل هؤلاء المسلمين على تغيير دينهم واعتناق النصرانية وقد سنت
قوانين الصارمة في اضطهادهم ، مثال ذلك : إذا عاد التجار المدعوون بالاسماعيلية Ysmailia
مرة ثانية إلى دينهم الأصلي بعد تعميدهم وختنوا اولادهم فانه يجب ابعادهم عن مقر سكنهم
بنفيهم إلى قرى أخرى .

أما هؤلاء الذين يتوبون فانه يمكنهم البقاء في مكانهم . وبعد عشر سنوات اصدر
ملك المجري كالمان Kalman كذلك قوانين صارمة في مضادة المسلمين المجر ومن نصها :
إذا لاحظ شخص ما أن اسماعيلياً يصوم طبقاً لدينه ويأكل مثل معظمهم ويمتنع عن
اكل الخنزير ويغتسل حسب طقوسهم أو يقوم بأي شيء ما طبقاً لعاداتهم فانه يجب على
ذلك الشخص ان يقبض عليه ثم يؤخذ نصيب من ثروته . ويقول قانون آخر انه غير
مسموح للاسماعيليين أن يزوجوا بناتهم من إسماعيليين وإنهم مجبرون على تزويجهم من
نصارى . ولم يكن هذا وحده فان القانون كان ينص على أنه في حالة ما إذا دعا نصراني
اسماعيلياً للطعام فانه يجب أن يقدم له لحم الخنزير ، لسكي يجبره على كسر الواجبات الدينية
وهذا القانون يُظهر لنا أن النصراني كان له اصدقاء اسماعيلية يدعومهم للطعام وأن
الاسماعيلية كانوا يزوجون بناتهم من أبناء دينهم غير أن هذه القوانين التي أصدرها
الملك المجرىون لم يجر تطبيقها .

ويطلق عادة على المسلمين في المجر اسم الاسماعيلية ، وقد جاء هذا الاسم من إسماعيل بن
هاجر الذي نزح إلى جزيرة العرب . ولا يفهم من هذا أنهم من الشيعة الاسماعيلية ، كما
يعتقد ناس من الكُتاب المجرىين فهم من أهل السنة ، على مذهب أبي حنيفة . ومما يذكر
ياقوت الرحالة العربي الثقافة الكبير أن في حلب عدداً من المسلمين المجرىين وهم أعضاء بعثة رسمية

مكونة من أربعين مجرياً Majari مسلمين لدراسة الفقه الحنفي تمهيداً لتعيين قضاة وأئمة منهم في بلاد المجر . وهذا الخبر المهم يدل على أهمية المسلمين في بلادنا ، وذكر ياقوت أيضاً أن مواطنهم في المجر تزيد على ثلاثين منطقة ، وتوضح أسماء الكثير من هذه المستقرات أن أصل سكانها من المسلمين . ففي المجرية نجد أن كلمة Bösörmény هي تحريف لكلمة : Müszülman . وبما يظن ولظني شيء مهم أن هذه الكلمة بصيغتها المحرّفة أطلقت على إحدى مناطق رومانيا Roumania وهي Bessavabia وقد نسب الفخار الوطني الروماني أصل هذه الكلمة إلى حمامهم الخرافي Bessavab أو Bussuvban التي تعني Mussulman وتدل على وجود المسلمين في تلك المناطق .

وحيثما عجزت موارد الدولة المالية وأصبحت يرثي لها اضطرت الحكومة إلى أن تضمن الضرائب فريقتاً من الناس في مقابل أن يجبوها بأنفسهم من المزارعين ، وكانت الناقلة الإسلامية هي الملتزمة بتحصيل الضرائب للحكومة بل أقرضت الحكومة عدة مبالغ في مقابل أن تحتكر هي سك النقود ، وبما استطاع المسلمون المجريون تأسيس عدة دور لضرب المسكوكات . وقد ظلت هذه النقود تتداول بعد قرن من ضربها ، ويوجد منها عدد كبير في « المتحف الوطني » ببودابشت .

وهؤلاء المسلمون كانوا ذوي الثقافة العالية إلى جانب أنهم حملوا السلاح واعتدوا أنفسهم من المحاربين الأبطال . وفي عام ١١٦١ أرسل الملك المجري Gera الثاني خمسمائة سراسيني Saraceni يعني شرقيين وهم المسلمون لمساعدة الامبراطور فريدريك Frederik في حروبه .

وفي القرن الثالث عشر قامى المسلمون المجريون شداًئد ومصائب من طوفان التتار الذي غمر المجر ، وقد اختفوا من مسرح الأحداث كجمتمع ، غير أن ذكرهم ظهرت في اسم أسرة اسماعيلية من أصل اسلامي تدعى Saerecseny ازدهرت خلال القرن الرابع عشر ،

والكلمة Saeculeny هي اشتقاق من سراسين Saracen ، وقد ظهرت على الكثير من
شعار الأسلحة على شكل رأس زنجي : وفي العصور الوسطى كانت لفظة سراسين تعني عامة
مسلمي أسبانيا .

وبعد انتهاء القرون الوسطى بدأ فصل جديد في التاريخ وبعد أن استولى العثمانيون
على مصر أتجه السلطان سليمان شطر بلاد المجر ، واستولى على جزء كبير منها وعلى عاصمتها
بودا Buda أو بودين Budin واتخذوها ثكنة عسكرية مهمة . وازدهرت الثقافة
الإسلامية التركية في بلادنا في غضون قرن ونصف وشيئت مساجد فاخرة ومدارس
علمية ، درست فيها الشريعة الإسلامية ، واعتنق عدد غير قليل من المجرين الإسلام الدين
المبين ، ودخلت كلمات عديدة عثمانية في لغتنا واعتاد الناس الأطعمة الشرقية التي لا تزال
تمثل دوراً مهماً في الطباخة المجرية ، وكذلك الفن الموسيقي أثر في ألحان المجر وأسلوب التغني .
ولما كسرت شوكة العثمانيين ، وارتد الجيش الفاتح عن أسوار فينا Vianna نزحوا عن
بودا ، ونزلوا عن قسم كبير من بلاد المجر فدخل فيما بعد في حوزة الجيش النمساوي
Nemsawi . وقد اضطهد النمساويون الكاثوليك Chatholic المجرين لأنهم بروتستانت
Protestan فشبت ثورة المجرين على أسرة هابسبورغ Habysburg الحاكمة وأخذ
القائدان Rákorir Thöpöly على عواتقها تحرير البلاد من نير النمسا . وفي خلال نشوب
هذه الثورات مد الخليفة التركي يد المساعدة للمجرين ، ولما انتهت الثورة بنجبة المجرين لجأ
قوادها إلى الأستانة فوجدوا هنالك ترحيباً كبيراً بهم ، وظلوا معززين مكرمين إلى أن
ماتوا ودفنوا في الأراضي الإسلامية . وكذلك لجأ قواد الثورة الكبرى في المجر في
سنة ١٨٤٨ إلى دار الخلافة فاستظلوا فيها بحماية الخليفة واعتنقوا الدين الإسلامي ، ودخلت

طائفة منهم في الجيش العثماني جنوداً واشتهروا ببسالتهم في حروب القريم .

والآن اسمحوالي أن أقول عدة من الكلمات عن عاصمتها بودابست وقد اشتهرت في العالم الاسلامي بمحاماتها الاسلامية والنظافة والطهارة ، وهي أهم ركن في الاسلام ، وقد ساعد انتشار الحمامات في بودا وجود ينابيع كبريتية شيدت فوقها قباب على طراز عربي ، وقد استطاعت بودا أن تحتفظ في قلب أوروبا النصرانية بقبر ولي مسلم هو كلبابا ومعناه أبو الورد ، وكان كلبابا درويشا « بكتاشيا » يرافق الجيش الفاتح ، فلما مات في خلال الفتح في أثناء صلاته يوم الجمعة في المسجد الكبير ببودابست Budapest في سنة 1041 أمر السلطان بأن يشيد له ضريح نفخ ، وبلغ من تقديسه لمكانة كلبابا أن حمل على كتفه نمشه . ولم يبق من آثار الحكم العثماني الا عدة مآذن في مدن الريف ، وذلك الضريح الموقر . وهذه النقطة تدفعني الى أن أحدث قليلاً عن حالة المسلمين في بلادنا اليوم . إنه بعد الحربين الأولى والثانية غادرت جالية المسلمين واكثرهم من البوسنويين Bosnawin وعدد قليل من الأتراك ، غادرت البلاد وهجرت بها الى البلاد التركية فلا مؤذن يرفع صوته ، ولا يوجد مسجد في أي بلد من البلدان . ولم يبق من المسلمين إلا عائلات من الفقراء . ولكن إن مضى مجد الإسلام المجسم في مؤمنيه فما مضت الثقافة الاسلامية أبداً ، والجامعة المجرية افتخرت بعلمائها مثل ارمين وامبري Vambriy الذي سافر الى تركيا وأسلم ، وذهب باسمه رشيد افندي الى آسيا الوسطى لدراسة اللغات التركية وتلميذه ايفناتس غولديزير Goldsiber Ygnas الذي أصبح تلميذ الشيخ العالم محمد عبده بالقاهرة وبعد عودته الى بلادنا صنف كتباً نفيسة عدة شرح بها أركان الدين الاسلامي والعقائد المكرمة ، وأنا أفتخر بكوني تلميذه ، أمثل دراسة التاريخ الاسلامي ، في كرسى التدريس بجامعة بودابست ، وصنفت آثاراً في تاريخ الاسلام المدني وفي الأدب العربي القديم والحديث ،

واشتهر كتابي عن حجي بيت الله في مكة المكرمة تحت عنوان : الله اكبر ، وترجم الى لغات شتى . وافتخر بكوني العضو المسلم الوحيد لمجلس النواب المجري ، وأمثل الدين الاسلامي لا على كرسي التدريس فقط بل بمجهوداتي الشخصية في الحياة الاجتماعية ، ولا أترك الوفاء بالواجب عليّ نحو مصلحة المسلمين والعروبة الى انتهاء أيامي .

سأدتي الكرام :

اختم محاضرتي هذه بشكري الجزيل لصبركم وأتمنى للمجمع العلمي العراقي دوام النجاح في المستقبل كما كان في الماضي ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الكريم جرمائوس